



أما قبل!

د. هلال الحجري

ثمة قيم إنسانية مشتركة بين ثقافات الشعوب ينبغي أن نفسح لها الطريق في مناهجنا وإعلامنا؛ سعياً للتقريب بين الشعوب وتعزيزاً لحوار الحضارات بدلاً من تكريس صدامها. وسأحاول في هذه الافتتاحية تسليط الضوء على مثل هذه القيم. سأبدأ اليوم بقيمة العدل، وهي من أجل القيم التي احتفت بها النصوص المقدسة، و مرجعيات الملل والنحل في العالم. وفي القرآن الكريم آية تشير إلى أن الديانات السماوية متلا كلها كانت معنية بتحقيق العدل بين الناس، وهي قوله تعالى "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ". وهذا ما نلمسه فعلاً في التوراة والإنجيل والقرآن.

نجد في سفر اللاويين (١٩) أمر الرب لموسى عليه السلام: "لَا تَرْتَكِبُوا جُورًا فِي الْقَضَاءِ، لَا فِي الْقِيَاسِ، وَلَا فِي الْوِزْنِ، وَلَا فِي الْكَيْلِ." وفي موضع آخر من هذا السفر قال الرب لموسى: "لَا تَرْتَكِبُوا جُورًا فِي الْقَضَاءِ، لَا تَأْخُذُوا بِوَجْهِ مَسْكِينٍ وَلَا تَحْتَرِمُ وَجْهَ كَبِيرٍ. بِالْعَدْلِ تَحْكُمُ لِقَرِيبِكَ" وكتاب التلمود أيضاً مفعم بأوصاف مفصلة لأجراءات المحاكم، وقواعد الإثبات، والشهادة، وحرمة تجريم الذات. وفي الإنجيل مواضع كثيرة تؤكد قيمة العدل، ومنها مثلاً ما جاء في سفر الجامعة، الإصحاح الخامس: "إِنْ رَأَيْتَ ظَلَمَ الْفَقِيرَ وَمَا يَخَالِفُ الْعَدْلَ فِي بَعْضِ الْأَقَالِيمِ فَلَا تَعْجَبْ مِنَ الْأَمْرِ فَإِنَّ فَوْقَ الْعَالِيِّ أَعْلَى مِنْهُ يَسِيرُ وَفَوْقَهُمَا مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُمَا".

أما الإسلام، فقد أعلى من قيمة العدل حتى أن الله اختص به ذاته العليا من بين أسمائه الحسنى، ويؤكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة على إقامة العدل في المجتمع مع الصغير والكبير، والحر والعبد، والرجل والمرأة، والصديق والعدو. وهناك آيات عديدة وصريحة بهذه القيمة الإنسانية الكبرى، منها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ). وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا فَلَا تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). وقوله أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ).

إن قيمة العدل لا يقتصر الحث عليها على الديانات السماوية، وإنما هي قيمة قدستها مختلف الملل في العالم؛ فالبودية مثلاً تقوم بعض مبادئها على مفهوم العدالة الشاملة وهي "الكارما"، وقد قال بوذا: "يا من تقترفون المظالم، انتبهوا إلى أنفسكم، وانظروا الأشياء بأعيانها لا بظواهرها، ولا تستسلموا إلى عبودية الذات، فقتلوا في شر أعمالكم، واعلموا أنكم لا تجنون من العلقم عنباً".

هكذا إذن، فالعدل من القيم الإنسانية الجميلة التي أكدتها ثقافات الشعوب المختلفة، بغض النظر عن ممارسات الظلم التي ينتهجها أصحاب هذه الثقافات!

منطقة تحت المجهر

كيف صرنا آخر الركب

نظرة في الاستشراق الألماني

الفكر الإقفالي، وإقبال الفكر

تاريخ الثقافة الإسلامية والعولمة

رحلة ابن فضال: حكاية الإنسان القديم في أوروبا

السلطة الدنيوية والمعرفة الدينية: جدال

العالم الإسلامي.. وحدة جغرافيا أم وحدة عمل؟!

«الفتنة» في التأصيل الأشعري والتوظيف

مآزق الفكر الإسلامي

ثالث العولمة والسياسة واللغة